ترجمة معاني القرآن: الكيفية والهدف

حلومة التجاني
جامعة الجزائر – الجزائر –
tidj.h2006@yahoo.fr

الترجمة من أهم وسائل التّقارب الحضاري، إذ بها ينفتح العالم على بعضه البعض، ولمّا كان القرآن من أهم دعائم الحضارة الإسلامية فقد حظي بمحاولات عدّة لترجمة معانيه لأهداف متباينة ولذلك اختلفت كيفيات ترجمته، فهناك الترجمة القريبة من روح الإسلام وهناك الترجمة المغرضة التي تخفي في ثناياها قنابل موقوتة؛ ومهما يكن الأمر فلنا أن نتساءل هل ترجمة معاني القرآن هي تفسير كُتب بلغة أخرى؟ وإلى أي مدى يمكن للمترجم أن يكون وفيّا – بقصد أو بغير قصد – للنص القرآني؟ وهل للموضوعية أو الاعتقاد دور في كيفية ترجمة معاني القرآن. ولماذا لم تستطع أقلام أهل الكتاب وهي تترجم معاني القرآن الأولى التقريب بين المسلمين وغيرهم من الأمم المسيحية واليهودية إلاّ قليلا؟

رسائل الرّسول صلى الله عليه وسلم والترجمة:

تعتبر ترجمة معاني القرآن وجها من أوجه التقارب الحضاري بين أمة الإسلام والأمم الأخرى التي تدين بغيره، والحقيقة أن التّفكير في ترجمته انتقل من خلال التفكير في أساليب الدّعوة إليه، فقد قرأت يوما أن الرّسول **صلى الله عليه وسلم** حين همّ بإرسال كتبه لملوك الأرض وقياصرها أمر زيدا بن ثابت وهو صحابي جليل من الأنصار أن يتعلمّ بعض لغاتهم.[1] وتذكر بعض المراجع

المنارة للاستشارات

أنّه أُمر بتعلّم السّريانية تحديدا لعدم ائتمان اليهود على القرآن[2] – فلعلهم ينقلونه إلى لغتهم فيعملون على تحريفه وقلب معانيه –، وعلى الرّغم من ذلك لم يكن زيد واحدا ممن أرسلوا إلى ملوك الدّنيا – ربما لحداثة سنه آنذاك –، وإنّما اختار الرّسول **صلى الله عليه وسلم** لتلك المهمة سفراء آخرين يحفظ لهم التّاريخ الكثير من المزايا.

ولولوج موضوعنا هذا اخترنا رسالتين قصيرتين من رسائل الرّسول **صلى الله عليه وسلم** كُتبتا باللّغة العربية، حمل الأولى منهما دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل وحمل الثّانية حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط، وقد تضمنت الرّسالتان آية من القرآن الكريم، وهي جزء من الرّسالة واجب التّرجمة، فلن تُسقط لمجرد أنها نصّ مقدس يصعب نقله إلى لغة الآخر، ولابدّ أن حاملي الرّسالتين قد بذلا جهدا فتصرفا كلّ بطريقته لنقلها إلى الملكين، أما الرّسالتان فتذكيرا هما:

أولاّ: الموجهة إلى هرقل عظيم الرّوم: وفيها يقول الرّسول **صلى الله عليه وسلم**:

بسم الله الرّحمان الرّحيم. من محمّد رسول الله إلى هرقل عظيم الرّوم. سلام على من اتّبع الهدى. أما بعد فأني أدعوك بداعية الإسلام. أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأرسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنّا مسلمون.[3]

ثانيا: الموجهة إلى المقوقس عظيم القبط: وقد جاء فيها قوله **صلى الله عليه وسلم**:

المنارة للاستشارات

بسم الله الرّحمان الرّحيم. من محمد بن عبد الله رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بداعية الإسلام. أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنّ عليك إثم القبط. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنّا مسلمون.(4)

ولعلّنا نضيف ثالثة — لنوضح أمرا – أرسل بها الرّسول **صلى الله عليه وسلم** إلى عظيم فارس يقول فيها:

بسم الله الرّحمان الرّحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله. وأدعوك بداعية الله عزّ و جلّ فإنّي رسول الله عز و جلّ إلى النّاس كافة لأنذر من كان حيّا ويحقّ القول على الكافرين. أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس.(5)

سيلفت انتباه المتتبع لهذه الرّسائل أن الرّسول **صلى الله عليه وسلم** لم يُعرّض آيات القرآن إلى التّرجمة تأويلا في خطابه كسرى وقد كان بوسعه اختيار أيّة آية مناسبة للعقل الوثني، لكنّه لم يفعل.

ولنا أن نتساءل إذن، هل قرب المعتقد يسهل عملية ترجمة معاني القرآن؟ وهل يجب أن نراعي المتلقي ونحن ننقل إليه هذه المعاني مترجمة؟

لا شكّ أنّ قرب المعتقد (الإسلام والمسيحية واليهودية) سيُسهم في تسهيل تأويل الآيات القرآنية ترجمةً، لكن اختلاف الشّرائع سيعمل على تشويهها، وعليه فإن عملية ترجمة معاني آي القرآن الكريم تخضع لشيئين اثنين:

المنارة للاستشارات

الهدف والكيفية، إذ يدفع المترجمَ إلى ترجمة معاني القرآن هدف معين وعلى أساسه تتم ترجمته.

الأهداف من ترجمة معاني القرآن:

أُمر الرّسول **صلى الله عليه وسلم** بتبليغ رسالة القرآن الكريم إلى النّاس كافة، عربا وعجما وأمّا العرب فقد كانوا يفهمون القرآن بلغته التي نزل بها ظاهرها لا باطنها وقليل هم أولئك الذين فقهوا كنه سوره فآمنوا بالله ورسوله وبعضهم كان بحاجة إلى شروحات ليُقبل على هذا الدّين الجديد إذ إن به معان جديدة لم يعرفها العربي الوثني كوحدانية الله والجنّة والنّار والبعث وغيرها من المعاني المستجدة وأمّا العجم فقد كانوا بحاجة إلى فهم هذا الدّين إمّا بتعلم لغة العرب أو بترجمة معانيه إلى لغاتهم.

إذن هي مفاهيم جديدة ولا سبيل إلى الوصول إليها إلاّ عبر التّرجمة الأمينة التي تحفظ للنّص قدسيته. وهي بهذا الشّكل تتطلّب من المهارة ما يمكّنها من"تمثّل النصّ المترجم تمثّلا مُدركا لخصائصه البنيوية وقرائنه الثقافية"[6]، وإن كانت التّرجمة تهيم بالنصّ الأدبي والتي قد يصل بها الحدّ إلى إنتاج نصّ جديد قد يفوق الأصل روعة فإنّها مطالبة إزاء النّص العلمي بالأمانة إلى أبعد الحدود في نقل معانيه، وأمّا القرآن فوجه آخر من التّعبير ليس نثرا ولا شعرا ولا نصّا علميا صرفا وإنّما هو وحيّ اسمه القرآن كلّف الرّسول **صلى الله عليه وسلم** بتبليغه بلغته العربية ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[7]، وعليه فهو نصّ شديد الحساسية ينبغي لمترجم معانيه أن يكون شديد التيقّظ متوخيا الحذر في تناول

المنارة للاستشارات

سوره. ولكن ما الذي يدفع بالمترجم إلى الاقتراب من نصّ عجزت العرب عن الإتيان بمثل آياته؟ إذ يقول تعالى:﴿**قُلْ لَئِنْ اجتَمعَت الإِنْسُ والْجنّ على أَنْ يَأتُوا بِمِثل هذا القُرآن لا يَأتُون بِمثْلِه ولَو كَان بَعضهم لبَعَض ظَهيرًا**﴾.[8]

لن يبتعد الدّافع الأوّل عن حاجة المسلمين من غير العرب إلى تعلّم دينهم والتفقّه فيه لذلك ستصادفنا ترجمات يمكن أن نصطلح على تسميتها بالتّرجمات الشّرقية كالفارسية والتّركية والعبرية وغيرها من أمم الشّرق والتي يُقدم عليها المسلمون فتكتسي طابعا قدسيا فيه إجلال كبير للنصّ القرآني؛ "فتوالت التّرجمات الفارسية والجاوية وهي أكبر اللّغات الأندونوسية وأكثرها انتشارا وقد ترجم إليها القرآن مع تفسير البيضاوي"[9] كما تّرجم إلى اللّغة الأوردية وأشهرها ترجمة الشّيخ عبد القادر بن الشاه ولي الله وترجمة الدكتور عماد الدين أمرتسار[10] وقد رأينا إقبال المسلمين من هذه الأعراق عليها فكانوا يتعبدون بقراءتها أثناء شعيرة العمرة أو الحج.

أمّا النمط الثاني من التّرجمات فترجمة معاني القرآن إلى اللّغات الغربية كالانجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية والإيطالية وغيرها، ولقد قادها المستشرقون ممن اهتموا بالدّراسات القرآنية، وقد كانت الأهداف فيها تنمّ عن حقد دفين للإسلام وأهله على الأقل في التّرجمات القديمة، فلم ينظروا إلى القرآن ككتاب وحي وإنّما رأوا فيه وثيقة تاريخية واجتماعية وفكرية فطالوها بالتزييف وترجموها ترجمة ممزّقة معتمدين أحيانا على ترجمات سابقة تعوزها الدّقة والأمانة، ويكفي أن منهم أمثال سفاري Claude Étienne Savary في ترجمته لمعاني القرآن جعل محمّدا **صلى الله عليه وسلم** مؤلفا لكتاب القرآن[11]، وعلى الرّغم من ذلك لعلّنا لن نعدم آخرين حاولوا ترجمة معاني القرآن

المنارة للاستشارات

ترجمة عادلة ليس بها مساس بقدسية القرآن كما هي ترجمة آرثر. ج أربري Arthur J. Arberry.[12]

أما التّرجمات العبرية لمعاني القرآن فقد "جاء منها ما يثير الشكّ كاستعمال ركندورف قوله « אלקוראן או המקרא » أي (المقرأ أو القرآن) عنوانا لترجمته بما يثير الشّكّ لدى القارئ حول الكتاب الذي سيطالعه وأنّه منقول عن المقرأ اليهودية (التوراة)" [13]، وفي الحين ذاته لا يخفي أهرون بن شمش عداءه للقرآن والإسلام في مقدمته التي صدّر بها ترجمته لمعاني القرآن فجعله صياغة عربية لتوراة موسى[14]، وعليه سيكون بمقدوره التصرّف بآي القرآن كما يحلو له.

كيفيات ترجمة معاني القرآن:

عندما يتحدّد هدف المترجم من ترجمته لمعاني القرآن الكريم تتحدّد كيفيته في تناول هذا النص المقدس، أمّا المسلمون فسيحتاطون لمثل هذا النّص ذلك أنهم يعلمون أنّه كلام الله، عجز العرب أنفسهم على الإتيان بمثله في لغتهم التي نزل بها فكيف إذا ترجمت معانيه إلى لغة أخرى؟ ومن هنا كان حرصهم شديدا على أن لا يناله منهم ما يمسّ بقداسته.

أما غير المسلمين فالقرآن عندهم مجرّد كتاب يتبارون في ميدانه، لذلك اختلفت ترجماتهم لمعاني القرآن بحسب الخيارات الأسلوبية المتاحة، فبعضهم قد ينجح في نقل الآيات ولو بشكل تقريبي وبعضهم يسيئ إلى النص فيفسد معناه سواء بقصد أو بغير قصد، فالتّعبير بكلمة الله غيرها إذا ما عبرنا بألفاظ مثل الربّ أو القدوس أو القهار أو غيرها من الصّفات التي يعدّدها

المنارة للاستشارات

القرآن الكريم، فضلا عن التقديم والتأخير وأغراضه البلاغية ومعاني حروف الجرّ والعطف التي قد يسيئ المترجم نقلها فيُنتج مسخا يبتعد عن فحوى القرآن وهدفه.

من ذلك مثلا الاختلاف البيّن في ترجمة عناوين السّور وعدم احترام ترتيبها في المصحف وإضافة ألفاظ ليست أصلا في أسماء السّور كإضافة ألفاظ الدّعاء Joseph (Peace be on him) في ترجمة ج .م ردويل J.M Rodwell لاسم سورة يوسف أو في ترجمة سفاري Savary لاسم سورة إبراهيم Abraham, La paix soit avec lui، وغيرها من السّور كسورة يوسف ويونس والأنبياء لا يغادر أحدا منهم حتى يدعو له، في حين يغفل هذا الأخير اسم سورة محمد فيدعوها بسورة القتال Le combat وهو الاسم الآخر الذي تُعرف به السّورة[15] وكأنما أراد التّهرب من الدّعاء له، وكيف يدعو له وهو الذي يراه مؤلفا لكتاب القرآن!؟، كما يترجم سورة الفرقان بالقرآن، والفرق شاسع بين اللّفظين إذ من صفات القرآن تفريقه بين الحقّ والباطل.

ومن ترجمات هذا الأخير أيضا ترجمته لفظ المروة في الآية 158 من سورة البقرة بـــ Merva "مرفا" وهو تصحيف لفظي، فإذا أتممنا الآية ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾ وجدناه يترجم شعائر بآثار وهي غير ذلك فالشّعيرة هي المنسك الذي يقوم به الحاج أو المعتمر وليست أثرا **monuments** كما يذهب إليه المترجم ومثله لفظ اعتمر الذي يترجمه بالفعل زار **visité**؛ فإن كانت العمرة تحمل معنى الزّيارة فهذه الأخيرة لا تحمل بالضّرورة معنى الاعتمار ذلك أن العمرة لا تتم إلا بمناسك معينة، فقد

المنارة للاستشارات

يَزُور الفرد منّا هذه البقعة المباركة فيخرج منها إما زائرا وإما معتمرا والفرق بيّن بين اللّفظين. يقول المترجم في تناوله هذه الآية:

> "Sapha et **Merva** sont des **monuments** de Dieu. Celui qui aura fait le pèlerinage de la Mecque, et aura **visité** la maison sainte **sera exempt d'offrir une victime d'expiation, pourvu qu'il fasse la tour de ces deux montagnes**"

إنّه أيضا يترجم (فلا جناح أن يطوّف بهما) بما يفيد أنّه "لا يجب عليه أن يضحي بشيء بشرط أن يطوّف بالصفا والمروة"[16]، كما يترجم في ذات السّورة الآية 282 لفظي سفيها أو ضعيفا في قوله تعالى: ﴿...**فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا**...﴾ بقوله: "malade ou ignorant" بمعنى مريضا أو جاهلا وهو معنى بعيد كلّ البعد عن المعنى المقصود في الآية، ومن جهة يترجم لفظ السّاعة الوارد في الآية 31 من سورة الأنعام بالموت La mort إذ يقول تعالى: ﴿...**حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً**...﴾ يترجمها سفاري على النحو التالي "La mort les surprit tout à coup".

ويترجم ريجيس بلاشير Régis Blachére لفظ الرّحمان بـــ Bienfaiteur أي المحسن أو المتفضّل و هي كلمة يمكن أن نصف بها البّشر في حين لا يصحّ أن يكون لفظ الرّحمان إلاّ صفة لله سبحانه وتعالى إذ هو مقصور عليه، وفي ذلك يقول الزّجاج: الرّحمان اسم من أسماء الله عزّ و جلّ مذكور في الكتب الأوّل[17]، فإذا جئنا إلى قوله تعالى من سورة هود الآية 117 ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ**...﴾ وجدناه يترجمها على هذا النّحو "Ton seigneur n'était pas capable..." وهو تعبير ينفي القدرة الإلهية.

المنارة للاستشارات

أما أندري شوراكي André Chouraqui فوجه آخر في ميدان ترجمة النّصوص المقدسة؛ وأوّل ما نلاحظه في تناوله معاني القرآن الكريم، صفحة الغلاف وقد كُتب عليها بلفظ لاتيني يحاكي اللفظ العربي LE CORAN وتحت هذا العنوان ترجمة له بهذا الشّكل: L'appel أي النّداء وليس في اللّفظ ما يفيد هذا المعنى ولعلّ اللفظ الذي يقترحه قاموس روبير الصّغير Le Petit Robert وهوLa lecture par excellence[18] أنسب للتّعبير عن هذا المعنى، فإذا أبحرنا في ترجمته وجدنا ما يلي:

إنه يقابل لفظ وعيد في قوله تعالى من سورة ق الآية 28﴿ **قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ...**﴾ بلفظ موعد rendez-vous بدل Menaces إذ يقول: " Allah dira "ne vous battez pas devant moi ! je vous avais déjà prévenus du **rendez- vous**"، كما يترجم لفظ المسجد الحرام بـــ La mosquée interdite أي المسجد الممنوع في قوله تعالى من سورة التوبة الآية 19 ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...**﴾ كما وقد حصل أن ترجم شوراكي آيةً بإضافة حرف أفسد به معناها إذ قال في ترجمة قوله تعالى الآية 66 من سورة الأعراف ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنْ الْكَاذِبِينَ**﴾ بقولـــه: "Le conseil dit **à** ceux de peuple qui..." أي قال الملأ للذين كفروا..." فترجمته إذن تنفي الكفر عن الملأ لتنسبه إلى المخاطَب والمخاطَب هنا الرّسول هود عليه السّلام وليس جمعا من المخاطبين وهو خطأ آخر نجم عن هذه الزيادة.

المنارة للاستشارات

ومهما يكن من أمر فترجمة معاني القرآن لغير النّاطقين بالعربية نراه واجبا دينيا دعويّا به تُقرّب المسافات بين الحضارات بل قد تكون التّرجمة وسيلة فعالة لاستقطاب مسلمين جدد، لكن مَنْ الذي باستطاعته الاضطلاع بهذه المهمّة؟ فترجمة معاني القرآن تُعدّ من الإشكاليات الكبيرة التي تواجه المترجم في تناوله هذا النصّ، فينبغي أن يكون ضليعا في اللّغتين المصدر والهدف والعربية تحديدا عارفا بخباياها خبيرا بعلم الفقه وأسباب النّزول وغيرها من العلوم المتعلقة بفهم النّصوص القرآنية، وذلك حتى تتسنى له ترجمة تقريبية لهذه المعاني القدسية.

هوامش:

1 ــ ينظر خالدا محمد خالدا: رجال حول الرسول، دار الفكر، دمشق، ط 1 1994، ص 369.

2 ــ ينظر حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري: كتاب تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، د ط، د ت، الجزء 1، ص 464.

3 ــ نفسه الجزء 2، ص 33.

4 ــ نفسه الجزء 2، ص 37.

5 ــ نفسه الجزء 2، ص 34.

6 ــ حمزة الديب: الترجمة النقدية وإشكالية المصطلح، الموقف الأدبي، عدد 282، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1989، ص ص9 – 10.

7 ــ سورة الشعراء الآية 192- 195.

8 ــ سورة الإسراء الآية 88.

المنارة للاستشارات

9 ــ محمود الربداوي: أهداف ترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ (شبكة الإنترنيت).

10 ــ ينظر محمود الربداوي: أهداف الترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ.

11 ــ صورة لكتاب سفاري.

12 ــ ينظر مقدمة هيثم عبد العزيز ساب: دراسة لترجمة معاني القرآن إلى الإنجليزية (القرآن مترجما)، مجمع الملك فهد.

13 ــ جريدة مصر الجديدة، ص 10 (دنيا وآخرة)، إشراف يوسف خالد، 28/ 12/ 2007.

14 ــ ينظر محمد محمود أبو غدي: ترجمة أوري رابين لمعاني القرآن الكريم بالعبرية (عرض وتقويم)، ص 9.

http://www.mediafire.com/?jmykhdjmtj2

15 ــ الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير المجلد 12 الجزء 26، ص 71.

16 ــ إبراهيم عوض: المستشرقون والقرآن (دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه)، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، ط 1، 2003، ص 10.

17 ــ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ر ح م).

18 - Le nouveau Petit Robert de la Langue Française, Paris, 2007, P. 542.

المنارة للاستشارات